توظيف المعاني النحوية في الأفعال الماضية في كتاب وسائل الشيعة/ أبواب التزكية

أ.م.د. ضياء حسين حميد
الباحث: عباس علي محمود
كليَّة الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلاميَّة الجامعة
basb05556@gmail.com

الملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على أهم المرامي، والمقاصد الدلالية التي وظفها المعصوم (عليه السلام) في خطابه؛ محاولة تحقيق الغايات الإقناعية الموجهة للمخاطب؛ التي استعملت فيها مختلف الوسائل والأدوات النحوية؛ لإبراز الدلالات الكامنة التي تكشفها العوامل الذاتية في النص فضلا عما يحيط به.

فكان توظيف المعاني النحوية الكامنة في التراكيب وسيلة كاشفة عن تلك المقاصد في خطاب المعصوم، ولاسيما أن العلاقات الإسنادية تعكس صورة معنوية للنص وهي متشكلة من حبك أجزاء التراكيب وما فيها من معان نحوية كـ (الفعلية والفاعلية والمفعولية وغيرها).

الكلمات المفتاحية: المعاني النحوية، الماضي المطلق، الماضي القريب.

Employing the grammatical meanings in the past verbs in the book «Wasa'il al-Shi`ah\ The doors of acclamation

Abbas Ali Mahmoud

basb05556@gmail.com

Summary:

This research focuses on the most important goals and semantic purposes that the infallible (peace be upon him) employed in his speech. Trying to achieve the persuasive target directed to the addressee; in which various means and grammatical tools were used; To highlight the latent connotations revealed by the subjective factors in the text as well as what surrounds it.

Employing the grammatical meanings inherent in the compositions was a means revealing those intentions in the discourse of the infallible, especially since the predicative relations reflect a moral image of the text, which is formed by interweaving the parts of the structures and their grammatical meanings such as (actual, active, passive, etc.).

key words. grammatical meanings. past absolute. recent past.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، توظيف المعاني النحوية في كتاب وسائل الشيعة ابواب تزكية النفس، وما اختاره الشيخ الحر العاملي في هذه الباب إذ اشتملت على الحكم والمواعظ من النثر الذي يعد ركناً اساسياً من الأدب العربي، فضلاً عن أنَّ الموضوع يجمع بين جانبين:

الجانب النحوي والدلالي، زاد مـــن اهميته، فجاء توظيف المعاني النحوية في الأفعال الماضيـــة، وقد أعطى الأثر البالـــغ في معرفة المعاني المتوخـــاة في خطاب (المعصوم) الرسول الكريم وأهل بيته (عليهم السلام).

توطئة:

يرى ابن منظور في بيان المعنى اللّغويّ لمصطلح الفعل بأنّه: «كناية عن كلّ عملٍ متعدّ أَو غير متعدّ، فَعَل يَفْعَل فَعـــلًا وفِعلًا» (ابن منظور، 2005: ج3/ ص 3055)، وهي إشارة إلى حقيقة الاســـتعمال الاصطلاحيّ للفعل بأنّه استعمال كنائيّ مجازيّ، وليس حقيقيًّـــا، أي أنّه من بابِ إطلاق الجزء وإرادة الـــكل؛ لأنّ الفعلَ حقيقة هو الحـــدث، وفي ذلك يرى الشريـــف الجّرجانيّ (ت 816 هـــ) أنّ «الفعلَ الحقيقيّ هو المصـــدر، كالضرب مثـــلًا» الجرجـــاني، 2005: ص 137)، وقد بيّن ابـــن الأنباريّ (ت577هـ) علّة تسمية الفعل بهذا الاســـم، وهي أنّه «يدلُّ على الفعل الحقيقيّ، ألا تـــرى أنّك إذا قلت: (ضرب) دلّ على نفس الضرب الذي هو الفعل في الحقيقة، فلمّا دلّ عليه سُـــمي به؛ لأنّهم يســـمون الشّيء بالشّيء إذا كان منه بســـبب، وهو كثير في كلامهم» الأنباري، 1999: ص37).

والفعل: هو «ما دلَّ على معنى في نفسهِ مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، ومن خواصه: دخول قد، والســـين، وســـوف، والجوازم، ولحوق تاء فعلت، وتاء التأنيث الساكنة «(ابن الحاجب، (د.ت):ص 44).

اشـــتهر بين النّحاة أنّ الفعل الماضي هو مـــا دلّ على حدثٍ مقترن بزمن قبل زمن التكلم أو قبل زمانك (ينظر: الزجاجيّ، 1998:1ج/ ص 43)، والفعل الماضي مبني على الفتح مع غير ضمـــير المرفوع المتحَّرك والواو (ينظر: ابـــن الحاجب، (د.ت): ج44/ ص 45).

وأمّــا من حيث دلالة الفعل الماضي؛ فيســتعمل الفعل الماضي للدلالة على أزمنة متعددة يمكن التعرض لبعضها (ينظر: السامرائي، 2007،:ج3/ ص 267).

اولاً: الماضي المطلق:

الماضي المطلق: وهو الزمن الذي مضى قبل زمن التكلم، قريبًا كان أو بعيدًا، وهو ما كان على (فَعَل)، من القريب قوله تعالى:﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ (النساء: 18)، ونحو قوله:(اســتيقظَ الطفلُ)، ومن البعيد نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (العنكبوت: 44.)، وأنَّ هذا الفعل يصلحُ لجميع الأزمنةِ، فإذا قلت: (حضرَ أخوك) احتمــل أن يكونَ الحضــور قريبًا أو بعيدًا، وجاء في شرح ابــن يعيش: وذلك أنّك تقول: (قام) فيصلحُ لجميع ما تقدَّم (ينظر: ابن يعيش،2001: ج8/ ص 110).

ورد الفعل الماضي المطلق في حديث الرســول (صــلى الله عليه وآله) في حديث المناهــي، إذ قال: (أَلاَ ومَنْ تَوَلّى عِرَافَةَ قَومٍ أَتى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَدَاهُ مَغْلُولَتَانِ إِلى عُنُقِهِ، فَــإِنْ قَامَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللهِ أَطْلَقَهُ اللهُ، وإِنْ كَانَ ظَالِماً هُوِيَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (العاملي، 1451هـ:ص 282).

فالأفعال (تَوَلّى) و(قَامَ) تدلُّ على زمنٍ مضى، وهي صالحة للزمن القريب والبعيد، بل قد تصلح لجميع الأزمنة، و(أتــى)، و(أطلق)، و(هوي) أفعال واقعة في جواب الشرط، وهي أفعالٌ ماضية لفظًا، وتدلُّ على الاســتقبال من حيث السياق، كذلك تدلُّ على التكرار والاســتمرار، وما تجده في حديث الرســول من المعاني والمقاصد الدلاليّة في هذه الأفعال، هو تجسيد لعمل يقوم به الإنسان، ولا سيّما الأعمال الأكثر خطورة، فتجد أنَّ الوعيد سبق الجزاء، وجيء به مغلولًا لمجرد توليه المنصب، معلقًا على شرط، فإنْ أقــام فيهم بالخير، و(قام) قد جيء بمعنــى المحافظة، والإصلاح، والعزم (ابن منظور، 2005: ج3/ ص 3354)، ومنــه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ

ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ (الجن: 19)، أي لمّا عزم على ذلك، وفي هذا الحديث طرح لقضايا تتصل بالحكم، والقضاء، والأمانة، والعلاقة بين الراعي والرعيّة في كلّ زمانٍ، ولا تختص بزمنٍ محددٍ من النبوة أو الإمامة، وتحديد العلاقة بين الحاكم والمحكوم عن طريق العدالة.

ثانيًا: الماضي المنقطع:

معنى الانقطاع أنّه حصل مرّة ولم يتكرر، وذلك إذا وقع الفعلُ الماضي خبرًا لكان، نحو: (كان كذب) أي حصل مرّة منه الكذب، ونحو: «كنتُ كتبتُ له في هذا الأمر» (السامرائي، 2007:ج3/ ص 267.).

ورد الماضي المنقطع في حديث أمير المؤمنين (عليه السّلام): (مَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَمِرَتْ جَوَارِحُهُ أَنْ تَسْتُرَ عَلَيْهِ، وَبِقَاعُ الْأَرْضِ أَنْ تَكْتُمَ عَلَيْهِ، وَنَسِيَتِ الْحَفَظَةُ مَا كَانَتْ كَتَبَتْ عَلَيْهِ) (العاملي، 1451هـ، 359).

فـ(كَتَبَتْ عَلَيْهِ) جملة فعليّة فعلها ماضٍ، وهي تحملُ كثيرًا من المعاني الدلاليّة، ويبدو من ذكر الإمام لنسيان الملائكة والكتابة أنّه أراد الانقطاع، وأنّها تحصل مرّة ولم تكرر، أي أنّ الملائكة والجوارح نسيت بالمرّة ما فعله، إذا لم يعد إلى ذلك الفعل مع تهيئة الأسباب له؛ وهذا لأنّ من صفات الله ونعمه أنّه يظهر الجميل ويستر القبيح، وفي سياق النّص ربط بين العلاقة النسبيّة لـ(النسيان)، والكتابة عن سلوك الملائكة تجاه الفرد إذا أحسن سلوكه ولم يتكرر، وأمّا الفعل الماضي المجرد من كان فهو قد يفيد الانقطاع (ينظر: السامرائي، 2007:ص 267) نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ (العنكبوت: 44)، ونحو: مات فلان ويحتمل أن يكون قد تكرّر الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾ (الأعراف: 93)، فالنصيحة قد تكرّرت من الأنبياء والرسل، وما نجده في خطاب المعصوم يحمل تلك المعاني

والدلالات، فقد ورد الفعل الماضي في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقال: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْإِسْلَامَ فَجَعَلَ لَهُ عَرْصَةً، وَجَعَلَ لَهُ نُوراً، وَجَعَلَ لَهُ حِصْنا، وَجَعَلَ لَهُ نَاصِراً، فَأَمَّا عَرْصَتُهُ فَالْقُرْآنُ، وَأَمَّا نُورُهُ فَالْحِكْمَةُ، وَأَمَّا حِصْنُهُ فَالْمَعْرُوفُ، وَأَمَّا أَنْصَارُهُ فَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي وَشِيعَتُنَا) (العاملي، 1451هـ:ص 142)

ورد الفعل الماضي (خَلَقَ) في الحديث ويدلُّ على الانقطاع، «والخلق أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشّيء من غير أصل، يقال: ولا احتذاء» (الأصفهاني، (د.ت):ص157)، وخلقه أي: بمعنى أوجده، ثم ذكر الفعل (جَعَلَ) وهو يحمل معاني دلاليّة واضحة، والجعل أعمّ، منه الصنع ومنه الإيجاد، وتتغير صورته بإيجاد الأثر فيه، ألا ترى أنّك تقول: (جعل الطين خزفًا) (وجعل الساكن متحركًا)، ولا تقول: (عمل الساكن متحركًا)؛ لأنَّ الحركة بأثر يؤثر به في الشّيء (ينظر: العسكري، 1437هـ:ص 222).

ويبدو أنّ الرسول(صلى الله عليه وآله) أراد أن يعطي بُعدًا دلاليًّا للإسلام، مما أحدث له الباري عزّ وجلّ من عرصة، والعرصة السقف للبيت وكذلك الأرض المنفتقة التي ليس فيها بناء (ينظر: ابن فارس، 2008:ص 726)، وجعل له نورًا كلّ هذه المعاني، وما عطفت على الخلق تفسيرًا للفعل على الانقطاع وكذلك التكرار في آنٍ واحد، وذلك أنّ الخلق حصل مرّة واحدة، وأما التكرار، فقد حصل بالجعلِ المتكرر بما صنع له.

أمّا تكرار الفعل الماضي؛ فقد ورد بكثرة في أحاديث الرسول وأهل بيته (عليهم السّلام)، وهو يحمل دلالاتٍ مكرّرة، نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾ (الأنعام: 99)، فإنّ الله تعالى يقوم بإنزال الماء وإخراج النبات باستمرار، وقد ورد مثل هذا في

أحاديث العترة الطاهرة، منها حديث للإمام الصادق (عليه السّـــلام)، إذ قال: (مَنْ خَافَ اللهَ أَخَافَ اللهَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللهَ أَخَافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) (العاملي، 1451هـ:ص 172).

فـ(خَافَ) فعل ماضٍ يدلُّ على الاســتمرار، فالعلاقــة المتبادلة بين الله عزّ وجلّ وبين العبد دائمة لا تنقطع، وهي ترسم أسلوبًا من أساليب الطاعة والعبادة الواجبة، والخــوف توقع مكروه عن إمارة مظنونة أو معلومة، قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ (الإسراء: 57)، والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنّما يراد به الكفّ عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك قيل لا يعد خائفًا من لم يكن للذنوب تاركًا (ينظر: الأصفهاني، (د.ت):ص 163).

ومن سياق الحديث الذي ربط الإمام فيه مخافة الله بدفع المكروه عنه، ترى تناسقًا جميلًا في معاني ومقاصد الحديث الدلاليّة، إذ إنّ التخويف من الله تعالى هو الحثُّ على التحرر، نحو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ (الزمر: 16).

ومثله حديث الإمام الصادق (عليه السّلام)، فقد ورد فيه الفعل الماضي دالًّا على التكرار، إذ قال: (إِنَّمَا أَصْحَابِي مَنِ اشْــتَدَّ وَرَعُهُ، وَعَمِــلَ لِخَالِقِهِ، وَرَجَا ثَوَابَهُ هَؤُلَاءِ اَصْحَابِي) (العاملي، 1451هـ:ص193).

فالأفعال (اشْــتَدَّ)، و(عَمِل)، و(رَجَا) أفعالًا ماضية دلّت على التكرار، والعمل يقصد به الأعمال الصالحة والسـيّئة، والشــدة في المؤمن من القوة، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ (طه: 31) أي: أتقوّى به، واشتدَّ ورعه أي: يشدُّ من قوى نفســه وبدنه، وفي الحديث ملاك الدين الورع، وأصل الــورع: الكفُّ عن المحارم والتحــرّج منها (ينظر: ابن منظــور، 2005:ص 4264)، والعمل كلّ فعل يخرج من

الإنســـان بقصدٍ، وهو أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعل قد ينســـب (ينظر: الأصفهاني، (د.ت):ص 349) إلى الحيوانات التـــي يقع منها فعلٌ بغير قصدٍ؛ ولذلك عبّر الإمام بالعمل، والعمل متكرر وإنْ كان يطلـــق في الماضي فإنّ العمل باقٍ عند المؤمن حتى يوم القيامة ليحاســـب ويثاب عليه، فتجد قوة الدلالة والســـياق من الفعل الماضي المتكرر وإن كان لفظه ماضٍ.

وفي حديث آخر للإمام الصادق (عليه السّـــلام)، قال فيه: قال رسول الله (صلى الله عليـــه وآله): يقول الله عزّ وجـــلّ (لاَ يُؤْثِرُ عَبْدٌ هَوَاهُ عَلى هَوَايَ إِلّاَ شَـــتَّتُّ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَلَبَّسْـــتُ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَشَغَلْتُ قَلْبَهُ بِهَا، وَلَمْ آتِهِ مِنْهَا إلاّ مَا قَدَّرْتُ لَهُ) (العاملي، 1451هـ:ص 221).

فقد ورد الفعل الماضي في الحديث (شَـــتَّتُّ) وهو يحمل معنى الانقطاع، وشتّت أي: تفرّق، والشت: تفريق الجمع، ولبست عليه دنياه أي: تلتبس عليه أموره، وهو من باب التشبيه والتمثيل، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ (الأعراف: 26)، ويبدو من حديث الإمام أنّـــه ذمّ الدنيا بصيغة الفعل الماضي؛ للتأكيـــد والتحذير من كلّ فعل يحصل من الإنسان في الحال والاستقبال.

هذا وقد ورد الفعل المـــاضي دالًا على الانقطاع في حديث طويل للإمام الصادق (عليه السّـــلام)، قال فيه: (لَمَّا أَعْطَى اللهُ إِبْلِيسَ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْقُوَّةِ، قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ! سلَّطْتَ إِبْلِيسَ عَلى وُلْدِي، وَأَجْرَيْتَهُ مِنْهُمْ مَجْرَى الدَّمِ فِي الْعُرُوقِ، وَأَعْطَيْتَهُ مَا أَعْطَيْتَهُ، فَمَالِي وَلِوُلْدي؟ قَالَ لَكَ وَلِوُلْدِكَ السَّـــيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا قَالَ: يَارَبِّ! زِدْنِي، قَالَ: التَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ إِلى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ الْحُلْقُومَ، قَالَ: يَا رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: أَغْفِرُ وَلَا أُبَالِي) (العاملي، 1451هـ:ص 371).

فالفعل الماضي (أعْطَى) ورد بعد لمّا وهـــو دالٌ في المعنى على الانقطاع، واختصّ

بالعطيــة والعطاء بالصلة، قال: «هــذا عطاؤنا» (الاصفهــاني، (د.ت):ص 339) «يعطي من يشاء، وقد يصرف الإنشاء المقصود به الطلب»(السيوطي، 2001: ج1/ ص9، الاستراباذي، (د.ت):ج 2/ ص249)، والفعل الثاني (ما أعطاه) يدلّ على مدة دوام العطاء، وهذا يشمل المستقبل أيضًا وذلك نحو قولك: لا أكلمك ما طلع نجم وغرب، وهذا التعبير أدلّ على الاســتمرار، وجاء في شرح الرضيّ أنّ الفعل الماضي ينقلب إلى المستقبل بدخول ما (ينظر: الاستراباذي، (د.ت): ج2/ ص250).

وقد ورد الماضي الذي يفيد الاستقبال في حديث الإمام الصادق (عليه السّلام)، إذ قال: (لما خلق الله العقل أســتنطقه ثم قال له: أقبــل فأقبل، ثم قال له: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُــمَّ قَالَ وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي، مَــا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَــبُّ إِلَيَّ مِنْكَ) (العاملي، 1451هـ: ص160).

فـ(خلق) فعل مــاضٍ يقصد به حين خلق العقل، والخلــق (ينظر: الأصفهاني، (د.ت): ص158) أصله التقدير المســتقيم ويســتعمل في إبداع الشّيء من غير أصل ولا احتذاء، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ويستعمل في إيجاد الشّيء من الشّيء ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾، وقد جاء في الكلّيات أنّ الأفعال الواقعة بعد (إلا) و(لّما) ماضية في اللفظ مستقبلة في المعنى؛ لأنّك إذا قلت: (عزمت عليك لما فعلت) أي أفعل (ينظر: الكفــوي، 1998: ص338)، وهناك نســق خاصّ بين المفــردات (العقل والخلق)، والمتأمــل في حقيقة الخلــق، وما أوجده في هــذا الكون، يجد حالة من الانســجام والتكامل والترابط في ما بينه؛ لأنّ العقل الإنســانيّ لما أســتنطقه الله أي طلب النطق منه والمعرفة كان فيه الحكمة من وجود الخلق.

ثالثًا: الماضي القريب:

المــاضي القريب: وهو ما تصــدَّر بـ(قد) نحو: (قد حضرّ محمــد)؛ لأنّ قولك:

(حضرّ محمد) يدلُّ على القريب والبعيـد، فإذا قلت: (قد حضرّ محمد) أفاد القريب مـن الحال، فتغير الماضي وصار للقريب. ومما جـاء في شرح ابن يعيش: وذلك أنّك تقول: (قامَ زيـدٌ) فتخبر بقيامهِ فيما مضى من الزمـن، إلّا أنّ ذلك الزمان قد يكون بعيدًا، وقد يكون قريبًا من الزمـان الذي أنت فيه، فإذا قرنته بـ(قد) قربته مما أنت فيـه، ولذلك قال المؤذن: قد قامت الصّلاة، أي: وقتها قريب أو حان في هذا الزمان (ينظر: ابن يعيش،2001: ج 8/ ص 148).

وقد ورد الفعل الماضي مقرونًا بـ(قد) في حديث الإمام الصادق (عليه السّلام)، إذ قـال: (الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ، ذَنْبٍ قَدْ مَضى لَا يَدْرِي مَا صَنَعَ اللهُ فِيه، وَعُمُرٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا يَكْتَسِـبُ فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ، فَلَا يُصْبِحُ إِلّا خَائِفاً، وَلَا يُصْلِحُهُ إِلّا الْخَوْفُ) (العاملي، 1451هـ:ص 172).

فالفعـلان الماضيان (قد مَضى) و(قد بَقِيَ) جـاءا مقترنين بـ(قد)، والمعنى الذي أفاده الفعـل الأول (قد مَضى) هو التحقيق أو التوكيـد، أي تحقق حصول الحدث في المـاضي، وأمّا (قـد بَقِيَ)؛ فهو يصرف الحدث المـاضي إلى التقريب من الحال أو التوقع، وجاء من النسـق في الحديث التعبير الرائع لـ(بقـي) وهو أنّ العمر الذي بقي كان نفس الماضي، لاسيّما أنّ معنى كلمة بقي هو: «البقاء، أي: ثبات الشّيء على حاله الأولي، وقيل باقٍ بنفسـه لا إلى مدةٍ وهو البـاري تعالى ولا يصح عليه الفناء» (الاصفهاني، (د.ت): ص58)، وباقٍ بغيره، وهو ما عداه ويصحُ عليه الفناء.

وفي حديث آخر للإمام الصادق (عليه السّـلام)، قال فيه: (أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ أُعْطُوا حَظَّهُمْ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ وَسَّـعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، وَالرِّفْقُ فِي تَقْدِيرِ الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنَ السَّـعَةِ فِي الْمَالِ، وَالرِّفْـقُ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ شَيْءٌ وَالتَّبْذِير لَا يَبْقَـى مَعَهُ شَيْءٌ) (العاملي، 1451هـ:ص 213).

ورد الفعل الماضي (وَسَّـعَ) مقترنًا بـ(قَد)، وذكر النّحـاة أنّ (قَد) الداخلة على الفعل الماضي لها ثلاثة معانٍ هي: التحقيق، والتوقع، والتقريب، وأمّا التقريب؛ فهو لتقريب الحدث من الحال، وجاء في شرح الرضيّ أنّ هذا الحرف إذا دخل على الماضي أو المضـارع فلابدّ أن يكون فيه معنى التحقيق، ثمّ يضـاف له بعض المعاني (ينظر: الاستراباذي، (د.ت):ج4/ ص6).

وتجد في السـياق الدلاليّ للحديث ربط العطاء بالرفق وسـعة الله في الرزق، فإنّ الله يمتدح الرفق، وسمّي بذلك للارتفاق به (ينظر: الأرناؤوطي، 2016: ج 1/ ص 220)، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ (النساء: 69)، وتأكيد الرزق من الرفق بالسّعة وفيه معنى التقريب.

رابعًا: دلالة الماضي على الاستقبال:

من المواطن التي ينصرف إليها في مواضع الإنشاء المقصود به الطلب هو الدعاء، نحو: (غفر الله لك) أي: ليغفر الله لك (ينظر: السـامرائي، 2007: ج3/ ص272)، ونحو: ناشدتك الله إلا فعلت.

وجاء في الكلّيات أنّ الأفعال الواقعة بعد (إلّا) و (لمَّا) ماضية في اللفظ مسـتقبلة في المعنى؛ لأنّك إذا قلت: (عزمت عليك لمّا فعلت) لم يكن قد فعل وإنّما طلبت فعله (ينظر: الكفوي، 1998: ص 338)، ويدلّ على الاستقبال في سياق الشرط.

وقد ورد الفعل الماضي دالًا على الاستقبال في أحاديث كثيرة في خطاب المعصوم، فقد جاء في حديث الإمام الباقر (عليه السّـلام)، إذ قال: (لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ هَوَايَ عَلَى هَـوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا جَعَلْتُ غِنَاهُ فِي نَفْسِـهِ) (العاملي، 1451هـ:ص 221).

فـ(جَعَلَ) فعلٌ ماضٍ دلّ على الاستقبال، وقد بدأ الحديث بالنهي (بالإيثار): «وآثر الشّيء حصول ما يدلّ على وجوده، والاستئثار هو التفرد بالشّيء من دون غيره» (الأصفهاني، (د.ت): ص10)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (الحشر: 9)، وأراد الإمام بهذا الخطاب أن يذمَّ هوى النفس، والهوى في اللّغة «هو ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة» (الأصفهاني، (د.ت): ص548)، ثمّ أنّ استعماله للفعل (جعل) فيه بشارة مستقبليّة، وهي جعل الغنى في نفسه، وقد ورد في الحديث (الغنى غنى النفس)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾(الضحى: 8).

ومن المواضع التي ينصرف إليها الفعل الماضي إلى الاستقبال الوعد أو الوعيد، ومن ذلك الأحداث المستقبلة مع قصد القطع بوقوعها (ينظر: السامرائي، 2007: ج3/ ص 272).

وجاء الفعل الماضي دالًّا على الاستقبال في حديثٍ للرسول (صلى الله عليه وآله)، قال فيه: (طُوبى لِمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ كُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ الله) (العاملي، 1451هـ:ص 355).

فالفعل الماضي (وُجِدَ) دالًّا على الوعد مقترنًا بالشرط، قال الدكتور فاضل السّامرائيّ في الإخبار عن الأحداث المستقبلة مع قصد القطع بوقوعها: «والقصد من ذلك أنّ هذه الأحداث متحققة الوقوع مقطوع بحصولها بمنزلة الفعل الماضي، فكما أنّه لا شكّ في حدوث الفعل للماضي الذي تمّ وحصل، كذلك لا شكّ في حدوث هذه الأفعال» (السامرائي، 2007:ج 3/ ص 273).

وهذا الحديث يماثل حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) دلالة، إذ قال: وجد

في صحيفة، أي: كثر الاستغفار وإن كان هو بلفظ الماضي الدّال على الاستقبال، ومن عظم منافع الاستغفار أنَّ المؤمن يجده عند حاجته إليه وفاقته يوم القيامة، فإنّه سيجزى به وهذا من باب الوعد.

وينصرف الفعل الماضي إلى الاستقبال عند دخول أداة الشرط (إن) و (إذا) نحو: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ (النصر: 1).

ومن ذلك حديث الإمام الصادق (عليه السّلام)، قال فيه: (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً أَجَّلَهُ اللهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ فَإِنِ اسْتَغْفَرَ اللهَ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَإِنَّ مَضَتِ السَّاعَاتُ وَلَمْ يَسْتَغْفِرِ كُتِبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ) (العاملي، 1451هـ:ص 353).

فقد ورد الفعل الماضي (أذنب) مقترنًا بأداة الشرط (إذا)، فتجد الحديث قد بدأ بتحقق الذنب، أي: الشرط (إذا أذنب)، وهنا يجب الإشارة إلى نكته وهي ليس أيّ ذنب يغفر، فهناك صنفان من الذنوب، الأول ذنب يغلق باب التوبة الذي يرفع الحجة، فلا تقوم الساعة إلّا على شرار الخلق ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ﴾ (التوبة: 80).

والذنب بمعنى القطع، أي: يقطع ارتباط صاحبه بالله تعالى (ينظر: الأرناؤوطي، 2016: ج1/ ص 192)، أي: أنّ هناك فعلًا متحقق القطع، وذلك أنّ المجرم الذي يظلم العباد وينهب البلاد ويشرك بالله، حتى وإن استغفر فهو غير مشمول بالتوبة، والصنف الآخر من الذنوب تكون فيه التوبة والاستغفار ماحية، وباب المغفرة مفتوح، وأنّ من شملته الرحمة المؤمن الذي يخطأ ولم يرتكب من الكبائر التي لا يغفرها الله من مثل الشرك، فتجد دلالة الماضي الدّال على الاستقبال أعطى من المعاني ما لم يعطِ غيره من الأفعال.

الخاتمة:

1-إنّ المعــاني النحويّة لم تــأتِ جزافًا في خطاب المعصوم (عليه السّــلام)، وإنَّما جــاءت لتدلّ على دلالات وأغراض لا تتأتى مــن تركيب الجُمل المألوف أو الأساس، وإنَّما يتوصّل إليها عبر معرفة المعاني النحويّة والأنماط الموجودة

2-ورد الفعل الماضي في خطاب الإمام المعصوم (عليه السّــلام) ودلَّ على جميع الأزمنة، وجاء الفعل الماضي أيضاً بصيغة الانقطاع ودلَّ على التكرار.

3-ورد الفعل الماضي في خطاب المعصوم (عليه السّــلام) بصيغة الماضي القريب وأفاد التوكيد والتحقيق، وكذلك دلَّ على الأحداث المستقبلة مع قصد القطع بوقوعها.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- ابن الحاجب، جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المصريّ الأسنويّ (ت646هـ)، الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، تحقيق: د. صالح عبد العظيم.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت395)، مقاييس اللّغة:، تحقيق: د. محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربيّ، 1429هـ-2008م.
- ابن منظور، الإمـام العلّامة أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ، لسـان العرب، تحقيق: د. يوسـف البقاعيّ، إبراهيم شـمس الدين، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط1، 1426هـ – 2005م.
- ابـن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحويّ (ت643هـ)، شرح المفصل، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسـه الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1،1422هـ – 2001م
- الأرناووطـي، د. إياد محمد علي، المواهـب معجم لألفاظ قرآنية، النـاشر: مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ط1، 1437هـ-2016م.
- الأسـترابادي، محمد بن الحسـن الرضيّ (ت686هـ)، شرح الرضيّ عـلى الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، دار المجتبى، ط1، (د.ت).
- الأصفهانيّ، أبي القاسم الحسـين بن محمد المعروف بالراغب (ت هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلانيّ، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
- الأنبـاري، عبـد الرحمن بن محمد بـن عبيد الله الأنصـاري، أبو الـبركات، كمال الدين (ت577هـ)، أسرار العربيّة، دار الأرقم بن الأرقم، ط1، 1420هـ-1999م.
- الجرجانيّ، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي (ت826هـ)، التعريفات، بيروت، ط1، 2005م.
- الزجاجيّ، أبو الحسـن علي بن مؤمن بن عصفور الأشبيليّ (ت669هـ)، شرح الجمل، قدّم له: فواز الشـعار، إشراف: أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.

- السامرائيّ، د. فاضل صالح، معاني النحو، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت-لبنان، ط1، 1428هـ- 2007م.
- السيوطيّ، جمال الدين (ت911هـ)، همع الهوامع: تحقيق: د. عبد السّلام هارون، د. عبد العال سالم مكرم، 1421هـ - 2001م.
- العامليّ، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ (ت1104هـ)، وسائل الشيعة: تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الربانيّ الشيرازيّ، طهران، ط5، 1451هـ.
- العسكريّ، أبو هلال (ت395هـ)، الفروق اللّغويّة تحقيق: د. مصطفى عبد العليم وسعد محمد حمودة، ط1، 1437هـ.
- الكفويّ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسني (ت1094هـ - 1683م)، الكلّيات، تحقيق: د. عدنان درويش، ط2، 1419هـ - 1998م.